

سلسلة أعلام حضرة ٢

الإمام عبید اللہ بن أحمد المهاجر

(٢٩٥ - ٥٣٨٣ هـ)

وَأَبْنَاؤُهُ الثَّلَاثَةُ

بَصْرِيُّ وَجَدِيدٌ وَعَلَوِيُّ

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن عكي المشهور

فرع الدراسات وخدمة التراث
أربطة التربية الإسلامية - عدن

حقوق الطبع محفوظة للناشر
فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

عبيدالله وأبناؤه الثلاثة
بصري وعلوي وجديد
(٢٩٥ - ٣٨٣ هـ)
الغلاف الداخلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ .

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

لِسَانُ الْحَالِ

وَكَمْ بُدُورٍ بِذَاكَ الْحَيِّ قَدْ بَرَزَتْ
تَمُدُّ زُورَاهَا مِنْ فَيْضِهَا الرَّخْرِ
وَكَمْ غُرَيْبِيَّةِ الْأَسْرَارِ قَدْ غَمَرَتْ
بِفَضْلِ هَطَّالِهَا الزُّوَارِ كَالْمَطَرِ
أُمَّةُ الدِّينِ آلُ الْمُصْطَفَى فَلَهُمْ
مَكَارِمٌ عَدُّهَا يَزُبُّ عَلَى الزُّهْرِ
وَرَأَتْ طَهَ عَلَى التَّحْقِيقِ إِنَّ لَهُمْ
مَحَاسِنًا أَذْهَشَتْ أَلْبَابَ ذِي الْفِكْرِ

الشيخ علي بن أبي بكر السكران

« الغرر » ص ١٠١

(ʌ)

الإهداء

إلى شيوخ الأفاضل..
بقيّة السلف.. وأمثلة الطّريق في الخلف..
وإلى أحفاد الإمام المهاجر في مشارق الأرض ومغاربها..
وإلى الرّاعيين في التّعريف على نماذج « السّفينة التي من ركبها
نجا ، ومن تخلف عنها هلك » .

المؤلف

سلسلة النسب الشريف

عبد الله بن أحمد المهاجر ابن عيسى ابن محمد ابن علي العريضي
ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الإمام
السبط الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة زهراء البتول
بنت المصطفى محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

ولادته ونشأته

ولد الإمام عبيد الله بن أحمد في مدينة البصرة من أرض العراق
الخصيب، وفيها نما وترعرع وتلقى أولويات معارفه وعلومه تحت
ملاحظة والده الإمام المهاجر ، وهو أصغر أولاد أبيه ، كانت ولادته
عام ٢٩٥ تقريباً ، وهاجر مع أبيه وهو ابن عشرين سنة^(١) .

وأما إخوته فهم محمد ، وعلي ، والحسين ، وهؤلاء استقروا بالبصرة
مع ذراريهم ، ولم يهاجر منهم أحد^(٢) .

نبغ الإمام عبيد الله في علوم عصره حيث زجَّ به والده مبكراً في
واقع الحياة العلمية فاستوعب واستفاد علماً وعملاً وتجربةً ، وقد

(١) عن كتاب ((الإمام المهاجر)) بتصرف ص ٦٣ .

(٢) المصدر السابق.

كانت البصرة آنذاك من أهمّ عواصم العلم والحركة التجارية والفكرية .
عاصر الإمام عبيد الله مع إخوته همّ الأب الحريص على التربية
وحسن السلوك ، كما استشعر عبيد الله ما يجيش في صدر والده من
هم الفتن المحيطة بالبيت المبارك ، خصوصاً فيما يتعلق بتربية الأبناء
والأحفاد في مجتمع البذخ والمال والمتع المتاحة لآل البيت مع علو الجاه
، حيث كان آل البيت بعد ما أصابهم عبر المراحل يحظون بالعطف
الكبير من المحييين ، وهَيَّأَتْ لكثيرٍ منهم أسباب الثراء وإفاضة الأموال
، مما حدا ببعض أبناء هذا البيت أن يميلوا إلى التمتع والترفة والإفراط
في المتع ، حتى إن بعضهم قد تنتظره ثلاثون وصيفة بالنَّدِّ والبخور
لدى خروجه من مغتسله^(١)، إضافة إلى هموم الفتن الماحقة الساحقة
التي جعلت البصرة وما حولها تغلي كالمرجل، وتشهد الفظائع والجرائم
والتقتيل، وتمزيق الأعراض ، كفتنة الزنج ، وفتنة القرامطة وفتنة الصراع
بين السنيين والشيعة ، وغيرها .

ولهذا فقد كان عبيد الله من أول المباركين خطوة والده في البحث
عن موطن آخر تنشأ فيه الذرية المباركة نشأة سليمة ، وكان هو أيضا

(١) من ((مذكرة الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف)) ، نَسَبَهَا إلى مصدرٍ تاريخيِّ

الفتى المختار من بين إخوانه للمرافقة في رحلة الانتقال عن البصرة .
لم يأت موعد الهجرة من العراق إلا وعبيد الله بن أحمد قد أعدَّ
العُدَّةَ مع أهله وزوجته أم البنين بنت محمد بن عيسى بن محمد للرحلة
مع والدها إسماعيل الذي عرف فيما بعد بلقب بصري .

خرج عبيد الله مرافقاً لركب والده الإمام المهاجر عبر طريق الشام
مرحلةً بعدَ مرحلةٍ حتى المدينة المنورة، ومعهم كل من جد السادة
الأهادلة وجد السادة آل القديمي كما ذكرت كتب التاريخ، وهناك
أبصرتُ عينُ الشابِّ المتطَّعِ إلى منبع أصالته وأزومته.. أبصر موطنَ
آبائه وأجداده.. حيث يَأرُرُ الإيمان ، وتهفو الأفئدة ، وآوى إلى ذلك
المسجد المبارك يتأمل الروضة الشريفة حيث كان جده المصطفى صلى
الله عليه وسلم يجلس ويصلي ويخطب ويجهز الجيوش في سبيل الله ،
كما وقف أمام الضريح يسلم على الأصل النير والأب الخير ، وقلبه
مفعمٌ بالاطمئنان بعد أن بلغ مدينة سيد ولد عدنان صلى الله عليه
وآله وسلم .

وزار البقيع حيث يرقد آل البيت ، دوحة الأصل وأساس الوصل،
بدأ بضريح أمه البتول الزهراء ومن حولها من الأئمة الأطهار ، ثم
مراقد بنات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم مراقد زوجاته

أمهات المؤمنين ، ومراقد عمّاته ، ثم مراقد الشهداء وضرائح الصحابة الكرام ، كما زار بقية الآثار المباركة والمشاهد الكريمة ، وكان العديد من شباب آل البيت في المدينة المنورة يرافقونه ، كما يرافقون ركب المهاجر في زيارته وتجوّلاته في المدينة المقدسة .

وفي ذلك العام ٣١٧ دخل القرامطة إلى مكة المكرمة ولم يتورعوا عن سفك دماء الحجاج وردم بئر زمزم بچثثهم ، فكان هذا الفعل باعثاً للإمام عبید الله وهو بالمدينة أن يشرح أخبار القرامطة وأفاعليهم البشعة في البصرة، ويحكي - مثل غيره من مرافقيه - نكبات البصرة وحرقتها وتشريد أبنائها وانتهاك أعراض نسائها ، والمناداة في الأسواق على المرأة بدينار بما لم يُسبق له مثيلٌ في التاريخ، وحمّد الجميع مولاهم أن كانوا في هذه الفترة الحرجة يأوون المدينة المنورة .

ومع قرب موسم الحج من العام التالي ٣١٨ تجهّز عبید الله ومعه أهله لمرافقة الركب المبارك الذاهب إلى الحج ، وفي كل موقع من مواقع المناسك كان الإمام عبید الله بن أحمد يتذكر تاريخ الإسلام، وعظمة الدعوة النيرة التي جاء بها خير الأنام صلى الله عليه وآله وسلم . وآله أن يرى الركنَ الأسعد من الكعبة - موقعَ الحجر الأسود - خالياً بعد أن حمّله القرامطة في العام الماضي معهم إلى الأحساء ، ولم يجد بُدّاً

من لمس موضع الحجر وتقبيله عوضاً عن الحجر المفقود .
واغتبط عبيدُ الله بن أحمد أيمًا اغتباط وهو يشهد التفات الحجيج
على والده الإمام المهاجر يطلبون منه الدعاء ، ويأخذون عنه دُرَرَ
العلم ، ويستظلون بفيئه الوارف ، ويسيرون خلفه حيث سار يهتدون
بهديه ويؤمّنون على دعائه ، واستأنس غاية الاستئناس بما شاهده من
تعلق حجاج حضرموت وإلحاحهم على والده كي يرحل إلى بلادهم ،
مؤكدين رغبتهم في الأخذ عنه والدفاع عنه والسير في ركابه ، واستشعر
ميل والده إلى تلبية رغبتهم ، والنزول عند طلبهم .

ولذلك لم يكن الأمر غريباً عليه عندما وَجَّهَ الإمامُ المهاجر سيرَ
القافلة نحو اليمن بعد انقضاء موسم الحج ، شهد عبيد الله سير
القضاء والقدر في توزيع ركب آل البيت بين تهائم اليمن ، فحلا المقام
للإمام محمد بن سليمان الأهدل ببلاد المراوغة ، واختار الشريف أحمد
القديمي النزول بوادي سُردد ، بينما ظلَّ والده مصمِّماً على المِضِيِّ
فُدماً من مدينةٍ إلى أخرى ومن سهلٍ إلى جبلٍ حتى بلغ وادي
حضرموت ، وعَلِمَ أَنَّ في الأمر سرّاً لا يَظْهَرُ إلا فيما بعدُ .

تكيف الإمام عبيدالله بن أحمد مع واقع حضرموت
منذ أن حل الإمام المهاجر بقرية الجبيل بوادي دوعن أدرك عبيد
الله بن أحمد ما ينتظره من المجاهدة والصبر في سبيل تحقيق ما كان
والده يصبو إليه ، حيث رأى شَطَفَ العيش وبدَاوة القوم واتَّساع
خرق الخلاف بين فئات الإسلام من سُيِّين وخوارج ، فلم يألُ جهداً
— منذ اللحظة الأولى — في صرف جُلِّ وقته بين يدي والده الإمام
ملياً حاجته ، مساعداً له في هذه المهمة الشاقة ، حتى ظهرت عليه
دلائل الرضا والفرح والاستئناس بثمرات الجهد المبذول ، وصار من
كل يوم وليلة يزيد من هذا الجهد ، ويسعى إليه راغباً بعد أن شهد
آيات القبول .

الإمام عبيدالله والرحلة في طلب العلم

توطد المقام النبوي في وادي حضرموت على يد الإمام المهاجر ،
وكان ولدُه — عبيد الله — على مدى المراحل كلها خيرَ رفيقٍ
ومساعدٍ ، سواءً كان الحال في بداية الأمر والإمام المهاجر في الجبيل
ثم الهجرين ثم قارة بني جُشَّير ، أو بعد أن توطد المقام للإمام في قرية
الحُسَيْسَة والتفاف الجميع تحت رايته .

وفي هذه المرحلة المثمرة أشار الإمام على ولده بالازدياد من طلب العلم، خصوصاً بعد أن صار الجميع في حضرموت يَتَلَهَّفُونَ لِلتَّلَاقِي من مَعِينِ أهل السُّنَّةِ ، ويرغبون في الأخذ عن أهل البيت ، فتوجه عبيد الله بن أحمد إلى الحرمين الشريفين وهما آنذاك من أهم مصادر علوم أهل السنة، وملتقى علماء الخافقين ، ومكث بمكة المكرمة عدة أعوامٍ مُكَيِّباً على التحصيل ، وآخذاً عن كلِّ شيخٍ حَفِيْلٍ ، وكان من أهم من أخذ عنه وانتفع به الشيخ أبوطالب المكي محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ، شيخ أهل السنة ، وصاحب كتاب « قوت القلوب » المتوفى سنة ٣٨٦ .

وكان الإمام عبيد الله بن أحمد قد قرأ عليه « قوت القلوب » وأخذ الإجازة والسند من أبي طالب المكي في كافة أسانيده ومروياته ، ومن كثرة مجالسة الإمام عبيد الله لأبي طالب تأثر كثيراً بنفسه الصوفي ، حتى قيل عنه: « إنه أوَّلُ مَنْ تَنَقَّسَ الأنفاسَ الصوفية بحضرموت » .

تصدر الإمام عبيدالله في حضرموت

أجمع المؤرخون على ظهور الإمام عبيد الله بحضرموت بعد عودته من الحرمين ظهوراً كبيراً ، وكان والده الإمام المهاجر أول المباركين

ذلك والساعين إليه ، بل أذن له أن يجلس للإفتاء والتدريس فيملاً بعلمه المحراب ، وأبدع في تبليغ ثمرات الكتاب والسنة ، وتحمياً للخلافة بين يدي والده ، إذ لم يَشُدَّ أحدٌ أثناء تصدُّره ، بل كانوا إلى ازدياد . ولما جرى الأمر المحتوم على والده الإمام المهاجر ، آلت إليه الخلافة دون منازع ، وكان أحقَّ بها وأهلها ، فظهر علماً بارزاً وأدباً ما لزم به على أكمل الوجوه ، بل اقتدى بوالده في كافة شؤونه ، ومن ذلك أنه وهب كافة أراضيه وأملاكه في الحسيصة لمولاه جعفر بن محمد ، وانتقل عنها إلى قرية سُمِّل ، وهي ليست ببعيدة عن الأولى ، واتخذ له فيها داراً واشترى عقاراً وعَرَسَ نخيلاً وأشجاراً ، وتزوَّج من تلك القرية بامرأةٍ ولدت له ابناً سماه جديداً، وقد وُلِدَ له من قبلُ ولدٌ سماه عَلَوِيّاً ، وستأتي ترجمتهما جميعاً .

ومن هذه القرية المتواضعة استمر نشاط الإمام عبيد الله كما كان والده من قبل ، وانتفع به خُلُقٌ كثيرٌ ، كما بذل جهوداً عظيمةً في سبيل زيادة العمل الزراعي واستغلال ثمراته ، فكان ينفق على الفقراء الأرامل والأيتام والمساكين ، وينفق على طلبه العلم وعلى المنقطعين والمسافرين ، مع غاية من التواضع والانكسار والمواظبة على الأعمال الصالحة آناء الليل وأطراف النهار .

وكان اسمه منذ ولادته « عبد الله » إلا أنه من شدة تواضعه وانكساره رغب في أن يُصَغَّرَ اسمه فيدعى « عبيد الله » فثبت الاسم بالتصغير ، وهو في الحقيقة بالعلم والتواضع كبير .

وقضى الإمام عبيد الله بعد والده رداً من الزمن يرسي دعائم المدرسة النبوية مدرسة الأخلاق والأخوة الإيمانية ، وينشئ عنها جيلاً من أبناء حضرموت ينطوون تحت راية آل البيت من جهة، ويوحدون القطر المبارك على منهج أهل السنة والجماعة .

ولما بلغ الإمام عبيد الله من العمر ثلاثة وتسعين عاماً قرَّت عيناه بأولاده الثلاثة الذين برزوا في مجال الخلافة من بعده ، فمات رحمه الله تعالى بعد أن علم أن ميراث المهاجر بأيدي أمينة تحافظ عليها وتوسع دائرة نشره بين الناس ابتغاء رضوان الله ، وهم بصريٌّ وعَلَوِيٌّ وجدي . وكانت وفاة الإمام عبيد الله عام ٣٨٣ ، واختلفوا في موقع دفنه، فقيل: إنه دفن في قرية سُمِّل ، وقيل : إنه دفن في العرض النجدي قرب مدينة بُور، ولم يُبق لنا الزمن أيُّ أثرٍ من الآثار المعاصرة له برغم كثرة ما مدحه الشعراء وما وصفوه به من الخير والتقوى في عصره ، إلا أن الشيخ علي بن أبي بكر السكران قال فيه:

عَفِيْفُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ أَكْرَمُ بِذَاكَ الْفَحْلِ وَالْحَزْرِ الْجَلِيلِ

أَبِ الْأَشْرَافِ مَعْدَنِ كُلِّ جُودٍ وَبِحَرِّ الْعِلْمِ سَيِّدِنَا الْفَضِيلِ
رحمه الله رحمة الأبرار .

سلسلة نسب الأبناء الثلاثة

هم بَصْرِيٌّ وَعَلَوِيٌّ وَجَدِيدُ أَبْنَاءِ عبيد الله بن أحمد المهاجر ابن
عيسى بن محمد ابن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد
الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن علي بن أبي
طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الإمام بصري بن عبيدالله

ولد بصريُّ بن عبيد الله بن أحمد في مدينة البصرة من أرض العراق
سنة ٣٠٥ ، وبها نشأ وتلقى باكورة المعارف العلمية ، وكان اسمه
الأول إسماعيل ، ولُقِّبَ بِبَصْرِيٍّ إِلَّا أَنْ اللَّقْبَ صَارَ فِيمَا بَعْدَ أَكْثَرِ
شهرةً من الاسم .

انتقل من البصرة إلى حضرموت مع قافلة جده المهاجر وأبيه عبد
الله وعمره إذ ذاك حوالي الثانية عشرة .

نال البصري نصيباً وافراً من رعاية جده المهاجر ، فقرأ عليه في
الحديث والتفسير ، وتأدّب به ، كما حظي باهتمام والده عبيد الله

وأخذ عنه علوماً كثيرةً ، خصوصاً بعد عودته من الحرمين وتصدّره في الوادي .

نبغ الإمام بصريٌّ مبكراً وظهر علماً في الحديث وروايته ، وأسهم في بناء مدرسة الإمام المهاجر إسهاماً ظهر أثره على الآخذين والمتلقين عنه من طلبة العلم ومن أولاده ، كالعلامة سالم بن بصري .

كما انتفع به أخواه علويٌّ وجديّدٌ ، وكانا له في علمه وعمله ونشاطه الديني والاجتماعي خيرَ مساعدين ورفيقين ، خصوصاً بعد تحمّل بصريّ خلافة العلم بعد انتقال والدهم عبيد الله بن أحمد سنة ٣٨٣ .

أنجب بصريٌّ ذريةً صالحَةً تسلسل فيها العلم والعمل ، ولكن أخبارهم وآثارهم اندثرت ولم يبق منها شيء ، وقد أشار المؤرخ العلامة محمد بن علوي في كتابه « غرر البهاء الضوي » إلى ذلك فقال ص ١١٦ : وقد عدّ صاحب كتاب « الدرر الثمين » ستّة من الفضلاء من ذرية الإمام بصري كلهم علماء أجلّاء ومشايخ فضلاء ، اندثرت جل أخبارهم ، وذهبت غالب آثارهم . اهـ . إلا أنّ ما حفّظتّه لنا تراجمُ الشيوخ عن ولده سالم بن بصري يعتبر مَلَمَحاً كافياً عن أثر

الإمام بصري في زمنه وعهده .

الإمام سالم بن بصري

ترجمت « البرقة المشيقة » و« الغرر » و« المشرع » لهذا الإمام
النحير ، وكذا بقية كتب التراجم ، وأجمعوا على بلوغه رتبة الاجتهاد
بجدارة ، مع كمال الورع والتقوى ، وكان جل انتفاعه من أبيه الإمام
البصري ، بل هو صورته ومثاله ، كما انتفع بجملة من مشايخ عصره ،
كالشيخ العلامة سالم بن أبي فضل ، ورحل في سبيل العلم إلى الحرمين
الشريفين ، ومر ببقية مدن اليمن وعواصمها العلمية ، وأخذ عن عدد
من علماء أمصارها .

كما حصل على الإجازات والأسانيد العالية ، وأذن له مشايخه في
الإفتاء والتدريس ، وكان أول ظهوره بالحرمين حيث أخذ عنه الطلاب
والمريدون بما قبل عودته إلى حضرموت .

ولما عاد من رحلته التي دامت عدة أعوام ، برز في وادي
حضرموت علماً لا يجارى خصوصاً في مدينة تريم ، وكانت إذ ذاك
مصدر إشعاع وانتفاع ، وبها من العلماء والمجتهدين عشرات الرجال .
وكان من جملة من أخذ عنه السند وسمع منه الرواية وانتفع بما عنده

من العلوم شيوخ تلك الحقبة المباركة ومنهم الشيخ محمد بن أبي الحَبِّ ،
والشيخ علي بن أحمد بامروان ، والشيخ القاضي أحمد باعيسى ،
والشيخ علي بن محمد الخطيب ، والإمام الفقيه المقدم محمد بن علي

وبالرغم من كثرة العلماء في ذلك العصر والمصر خلال القرن
السادس الهجري ، حتى إنهم بلغوا في تريم وحدها ممن وصل درجة
الإفتاء ثلاث مئة مفت ، ولكنهم جميعاً قد اعترفوا بفضل الإمام سالم
البصري وجلالة قدره علماً وعملاً ، خصوصاً أنه قد رَدَّ بدعة الخوارج
ودحض شيوخها بالحجة والبرهان ، إتماماً لما سبقه به الإمام المهاجر
رضي الله تعالى عنه .

وقد ذكرت كتب التراجم حكاية تُشير إلى مكانة ومقام الإمام سالم
بن بصري في عصره ، وملخصها أن والي تريم اجتمع بالعلماء وطلب
منهم أن يُظهروا له أفضلهم علماً وعملاً ، فاتفقوا على تقديم الإمام
سالم بن بصري، فما كان من ذلك السلطان إلا أن دَبَّرَ مكيدةً للإمام
سالم بن بصري ليختبره، فأوعز السلطان إلى امرأةٍ من نساء البلاد
كانت لها بنتٌ وَضِيئَةٌ يشارُ إليها بالحُسن والجمال أن تُزَيِّنَ ابنتها
وتحتال على الشريف سالم كي يدخلَ عليها وتراوده عن نفسه ،

وجعل لها جعلاً مالياً كبيراً .

قامت المرأة بإعداد ابنتها كما طلب السلطان وترقت في بعض الطريق عودة الإمام سالم من زيارته للمقابر كما هي عادته كل يوم، فلما عاد توسلت إليه المرأة أن يقرأ على ابنتها شيئاً من القرآن زاعمةً أنها مريضة، فقيل وسار خلفها حتى دخل ورأى الفتاة على غاية من الزينة والجمال ، وقبل أن يقرأ أغلقت الأُم باب الدار عليه من الخارج وتركته مع ابنتها التي قامت تتلطف بالإمام وتراوده عن نفسه .

استعظم الإمام سالم ذلك الأمر ، ولم يجد بُدّاً من إخراج نعله وأخذ يضرب بها الفتاة على وجهها وجسمها وهو في شدة الغضب والانفعال ، ثم خرج من المنزل مسرعاً والفتاة تصرخ بأعلى صوتها مما حلّ بها ، إذ جاءت أمُّها فرأت ما يهول ، وقد صار موقع كل ضربة من النعل حَزَازَةً جُذام ، فجُرِّنَ جُنُوحُهَا وهرعت إلى السلطان تعلمه بالأمر ، فجاء ورأى ما حلّ بالفتاة فتيقن عِظَمَ حَالِ الإمام سالم ، فما كان منه إلا أن أرسل إليه واعتذر له غاية الاعتذار وطلب منه الصّفح عن الفتاة وأمها ، وأن يدعو الله لها بالشفاء من الجذام ، فقيل الاعتذار وصفح عن الفتاة وأمها ، ودعا لها بالعافية فشفاه الله . وقد تناولت كتب التراجم بعض تفاصيل حياته واختلفوا في وفاته ،

فقال بعضهم : إنه مات مقتولاً ؛ ولكن السيد الشاطري في « الأدوار
« أكد وفاته على فراشه عام ٦٠٤ ، ودفن بترية زَنْبَل بتريم .
كان هذا هو أحد ثمرات العطاء الإلهي الذي مُنَّ به على الإمام
البصري بن عبيد الله ابن الإمام المهاجر^(١) .
وقد انقضت حياة الإمام البصري على خير ما تنقضي عليه حياة
العلماء والعظماء الأفاضل ، ما بين علم وعمل ونفع وانتفاع وإصلاح
بين الناس ، وحتى ناداه منادي مولاه فلي النداء راضيا ، ودفن بقرية
سُمَل ، ولا زال قبره معروفاً بها إلى اليوم ، رحمه الله رحمة الأبرار .

الإمام جديد بن عبيدالله بن أحمد المهاجر

هو أصغر أولاد عبيد الله ، وأمه أم ولد ، تزوجها عبيد الله بعد
انتقاله من الحُسَيْسَة إلى قرية سُمَل بعد وفاة والده عام ٣٤٥ .
نشأ جديدٌ تحت رعاية أبيه واهتمام أخويه بصري وعلوي ، ونما
وترعرع في جوٍّ من النشاط الاجتماعي والحماس الديني المنبعث من
نشاط بيئة الإمام المهاجر ، حفظ « جديد » من القرآن شيئا كثيراً ،

(١) أجمعت كتب التراجم على انقراض ذرية الإمام بصري في منتصف القرن السابع
الهجري ، ولم يبق منهم بعد هذا القرن أحد .

وأخذ أسس العلوم الشرعية وكذا اللغوية والقرآنية على يد جملة من
الشيخ ، ويأتي في مقدمتهم أخواه بصري وعلوي .

وقد كان عصر الإمام جديد عصر اهتمام ومثابرة وتنافس شريف
على طلب العلم والأخذ عن الشيخ ، ولهذا بذل كل ما في وسعه
ليكسب رهان العلم والعمل متمثلاً معنى قول الشاعر :

لا تَحْسَبِ الْمَجْدَ ثَمَرًا أَنْتَ أَكَلْتَهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تُلْعَقَ الصَّبْرًا

ولكن جديداً أبدع بين أقرانه حتى جاوزهم وسبقهم إلى التحصيل
، وأخذ عالي المعارف والعلوم وحققها ، مما قرّر به عين أبويه وأخويه ،
فكان بعد ذلك سنداً لهما ، وعضداً لدعوتهما ، يسافر من قرية إلى
قرية ، ومن مدينة إلى أخرى ناصحاً ومذكراً ومعلماً ، يتألف قلوب
العوام ، ويجادل المخالفين بالحسنى مع استشهادة بالحجج البينة ،
حتى تأدب له الجميع ، وانطوى تحت لوائه الجُمُ الغفير من أهل البدع
والمخالفات .

أذن الإمام عبيدالله إبان مرحلة تصدّره لولديه جديد وعلوي كي
يذهبا إلى بيت الله الحرام ، وكلف جديداً أن يرحل إلى العراق لزيارة
من بقي هناك من الأقارب ، وربط صلوات الوشائج بين الثاوين هناك
وبين المقيمين بحضرموت ، وفي هذا المعنى كتب صاحب « الجواهر

الشفاف» أنّ سَفَرَ جديدٍ من إلى البصرة كان حينما حج مع أخيه علوي لقبض الغلات وزيارة الأقارب ، وأنه رجع ماراً بشواطئ الخليج ، ودخل الأحساء ، والقطيف ، وعمان، وانعطف إلى ظفار . وفي هذه الرحلة اتسعت دائرة الأخذ والإسناد والاتصال بكبار علماء الإسلام في البلدان التي زار فيها وعبر فيها ، وفي هذا الصدد كتب المؤرخ عبد الله بن نوح ما مثاله ص ١٠٢ في ذيل كتاب «الإمام المهاجر» :

جديد : ولد بمضرموت وبرز بإذن والده إلى جانب أخويه في حلبة التدريس ، ورواية الحديث وإجازته ، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ ، وأقبل عليه الطلاب من كل حذب وصبوب .

استحسن الإمام جديدُ الانتقالَ من قرية سمل بعد وفاة والده عام ٣٨٣ إلى قرية بيت جُبَيْر على مقربة من مدينة تريم التاريخية ، وتديّر هناك واتخذ عقاراً ونخيلاً ، وتصدر في القرية للتدريس والنفع العام والخاص ، وحرّك فيها أيدي العوام والخواص بالزرع والضرع ، والاكتفاء بموارد القرية وتطويرها وتحسين نوعياتها الزراعية والحيوانية ، حتى صارت في عهده إحدى المناطق الخصبة المشار إليها بالبنان ، وازدحم الطلاب في تلك القرية ينهلون من المعين الدافق ، كما تأثر

الجميع بلطفه وكرمه الواسع ولطف أخلاقه وسعة صدره للناس وعدوبة منطقته ، ورزقه الله في تلك القرية ذريةً مباركةً أدرك بعضهم ربحاً من عمره ، وأخذوا عنه الأخذ التام ، وتسلسل فيهم وفي من جاء من بعدهم شرف العلم والعمل والاستقامة ، وحب العمل والاعتناء بطلب الرزق الحلال ؛ إلا أن القضاء والقدر جرى مجراه فلم يبق من آثار هؤلاء الرجال إلا النادر، كما انقرض هذا البيت المبارك مثل انقرض بيت آل بصري في منتصف القرن السابع الهجري .

كتب صاحب « الغرر » : والسيد الإمام الشيخ جديد بن عبد الله الغالب عليه وعلى ذريته التبخر في فنون العلم والزهد والورع ، ولم يبق أحد منهم إلا ثلاثة فقهاء علماء ، وخمسة قد طُمست أسماءهم في « الدر الثمين » الذي انقطعت منه أوراق حكي فيها أخبارهم ومآثرهم وفضائلهم، وكلهم شافعيةٌ أشعريةٌ على عقائد أهل الكتاب والسنة^(١).

(١) « الدر الثمين » ، أو « الياقوت الثمين » ، كتاب مخطوط اعتنى مؤلفه فيه بتراجم السادة العلويين منذ حلول الإمام المهاجر ، ولكن الإهمال وطول العهد بالتأليف تسبب في تمزق بعض أوراق هذا الكتاب ، حتى إن صاحب الغرر خلال القرن العاشر يشكو من تمزقه ، وأن ذلك كان سببا في طمس كثير من أخبار بني بصري

وكتب أيضا صاحب « الغرر » ثم إن بني جديد انقضوا كبني بصري ، وآخر موتاهم امرأة بزبيد اسمها جديدة ، وعد صاحب «الياقوت» -أي: « الدر الثمين »- منهم اثني عشر شيخاً عالماً ، اندثرت أخبارهم ، ومناقبهم في الكتاب ، ولهم مآثر عديدة لم يبق منها إلا مسجدهم المنسوب إليهم في حاميتهم بتريم .

بنو جديد.. رجال العلم والعمل..

سبقت الإشارة إلى انطماس آثار هذا البيت المبارك بانطماس بعض المؤلفات ، وكذلك انقضاهم في منتصف القرن السابع الهجري إلا أن ما بين أيدينا من التراجم ذكرت بعض المناقب لأفرادٍ منهم، ومع أننا قد افردنا للسادة بني جديد كتباً خاصاً في هذه السلسلة إلا أنه يحسن أن نضعهم هنا مرة أخرى نموذجاً ساطعاً يدلُّ على ذلك العصر ورجاله.

١- نور الدين علي بن محمد بن جديد^(١).

وبني جديد وآثارهم ، ولكن هذا الكتاب يعد الآن معدوماً ولا يعرف له مكان ما عدا اسمه الوارد.

(١) أحد علماء القرن السابع الهجري ، ولد بتريم ونشأ بها ، وترجمت له أمهات التراجم

كالجندبي في ((تاريخه)) ، وابن سُمرة في ((الطبقات)) ، وترجم له في ((المشروع)) ، و((الغر)) ، وفي ((البرقة المشيقة)) ، و((العقد النبوي)) .

تلقى أولويات علومه بحضرموت ثم انتقل إلى الحرمين ، وجد في الطلب وزاحم في سبيل العلم بالركب ، نافس الأقران في تحصيل علوم السنة والقرآن ، حتى عظم صيته في الجهات والأقطار والأقاليم ، وسافر إلى الهند والعراق وغيرها من البلاد ، ولما قدم إلى عدن بعد عودته من الحرمين أدرك القاضي إبراهيم بن أحمد القريظي فأخذ عنه كتاب ((المستصفي من سنن المصطفى)) ، ثم خرج لزيارة الشيخ مدافع بن أحمد العيني ثم الفقيه الخولاني ببلدة الوجيز ، وتزوج هو وأخوه عبد الملك من ابنتي الشيخ ، وأخذ عن الشيخ مدافع أخذاً تاماً ، وسكنا برهة من الزمن بذي دهيم ، وأخذ الناس الحديث عن الشريف علي بن جديد ، ومن أخذ عنه الشيخ الإمام محمد بن مسعود السفالي والإمام أبوالناصر الحميري ، وأحمد بن محمد الجندي ، والإمام حسن بن راشد والإمام الشيخ محمد بن إبراهيم الفشلي ، وكان الفشلي يقول عنه : أبو جديد رجل ثقة من الحفاظ ، ذكره صاحب ((العقد النبوي)) (١ : ٢٥٣) .

ولما عاد إلى حضرموت اعتنى بعلوم الحديث وحققها ، ونشر الأسانيد العالية ، وأفاد الطلاب بفنون المعرفة التي تلقاها ، ويذكر أنه أول من حذف السند من الحديث اختصاراً ، واعتماداً على ما عنده من الحفظ ، وما عند تلاميذه من الاستيعاب ، وروى كثيراً من الأحاديث مجردة عن أسانيدها .

قلت : وهذا كان يفعله بعض العلماء كالنووي في ((الأذكار)) .

كما حقق النسبة الشريفة واعتنى بتوثيقها ، ذكر ذلك الشيخ باخرمة في ((قلادة النحر)) ، وقال : إنه لما قدم أحمد بن عيسى اعترف له أهل حضرموت بالفضل وما أنكروه ، ثم إنهم من بعد ذلك أرادوا إقامة البينة توكيداً لما ادَّعوه ، وكان بترميم آنذاك

٢- عبد الله بن محمد بن جديد^(١).

ثلاث مئة مفت ، فسار الإمام المحدث علي بن محمد بن جديد إلى العراق وأثبت ذلك النسب ، وأشهد عليه نحو مئة عدل ممن يريد الحج ، ثم أثبتته مرةً أخرى بمكة ، وأشهد على الأثبات جميعاً ممن حج من الحضارم ، وقَدِمَ هؤلاء الشهودُ في يومٍ معلومٍ وشهدوا على رؤوس الأَشْهادِ بإثباته . ومن آثاره جزءٌ حديثيٌّ جمع فيه أربعين حديثاً في فضائل الأعمال لا زالت مخطوطة، وكان يعرف عند أهل اليمن بالشريف أبي الجديد ، وورد اسمه كذلك في ((النفحة العنبرية)) لابن أبي الفتح ، وكان مؤلفها يسرد قضية التباس حاكم عدن في شأنه فقال : ومن ولد عيسى السيد أحمد المتنقل إلى حضرموت ، ومن ولده السيد أبي جديد القادم إلى عدن في أيام مسعود بن طغتكين بن أيوب بن شادي سنة ٦١١ ، فتوحش المسعود منه لأمر ما فقبطه وجهزه إلى أرض الهند ، ثم رجع إلى حضرموت بعد وفاة المسعود .

وقد ورد في بعض تراجمه أن شيوخه بلغوا ألفَ شيخ وبهم بلغ رتبة الاجتهاد، وتفرد بعلو الإسناد ، ونقل عنه الحافظ السخاوي في كتابه ((المقاصد الحسنة)) حديث الخضر عليه السلام عند سماع المؤذن . ذكره في ((شرح العينية)) ص ١٤٢ .

(١) الشيخ المستنير عديم النظر في عصره، صاحب علم وورع وزهد وأخلاق عالية ، ولد بتريم ، ومات بها سنة ٦٠٨ ، بقي من الآثار الدالة عليه رسالة تعزية في وفاته كتبها الشيخ العلامة ابن أبي الحُب الحضرمي لأخيه محمد بن جديد يقول فيها : لقد ساءنا بُعْدُهُ ، وأوحشنا فُقْدُهُ ، وإن فجيعتنا به أعظم من فجيعتك ، وروعتنا لفراقه أعظم من روعتك ، فكيف لا يكون ذلك وهو أليقنا في مكاننا ، وشريفنا في زماننا ، وهو أحد علمائنا وأوتادنا ، ولقد كان نعم العون في الشدائد والنوائب المدهمة ، والمدخر لمخشي العواقب المهمة ، والمعاطب الملممة :

٣- عبد الملك بن محمد بن أحمد بن جديد^(١).

الإمام علوي بن عبيدالله بن أحمد المهاجر

الإمام الذي حفظ الله به ذرية آل البيت النبوي بحضرموت إلى اليوم ، إذ لم يبق من ذرية أخويه بصريّ وجديديّ أحدٌ بعد القرن السابع كما تقدم ، وُلد علويّ بحضرموت ، وعلى الأرجح كان مولده بالحسيّة ، وقيل : في سُمَل ، وهو أول من سُمي علويّاً ، وإليه ينتسب أشراف بني علوي وآل علوي في مشارق الأرض ومغاربها .

نشأ تحت رعاية أبويه ، وانتفع بأخيه بصري ، وأشرقت شمس حياته على همّة عالية ، ونفحاتٍ قرآنيةٍ ونبويةٍ زاهية ، فبيئته بيئة العلم والنور القرآني ، وأهله أهل معدن الحق والفتح النوراني ، ومنزله محط نظر الأمة كلها ، فلا غرو أن ينشأ هذا الغلام متطلعاً إلى المعالي

وبالْكُرْهِ مِنَّا فَفَقْدُهُ وَفَرَأْفُهُ وَلَكِنَّ خَطْبَ الدَّهْرِ بِالنَّاسِ مُوقِعٌ
وَكُنَّا ذَخْرِنَاهُ لِكُلِّ مُلِمَّةٍ وَسَهْمُ الرِّزَايَا بِالذِّخَائِرِ مُوَلِّعٌ

(١) الفقيه العالم العامل البارِع في أنواع العلوم المتقن لسائر المنطوق والمعلوم ، اعترف له علماء زمانه بسبقه في كافة علوم الشريعة ، فكان مرجعاً في الحديث والتفسير والفقه ، اندثرت أخباره وآثاره كما هو حال غيره من أهل بيته ، توفي عام ٦١٤ وراجع ((الغرر)) ص ١٢٣ .

ساعياً إليها كما هي ساعيةٌ إليه ، ولم تحب نظرات أبيه ولا تصورات جده فيه ، بل زرعت المواعيد في عنفوان شبابه ، وبرز الإمام علوي فذاً قوياً الحجة سريع البديهة ، مهيب الطلعة ، يحظى باحترام الخاص والعام .

لم يكد الإمام علوي بن عبید الله يجمع في صدره كتاب الله حفظاً وتحقيقاً ، ويستوعب مجريات العلم من حديث وتفسير ولغة وتاريخ وسير وغيرها من العلوم المتداولة في محيط أسرته المباركة ، حتى تطلع إلى المزيد فوجَّهه والده إلى الحرمين الشريفين ، فمكث بها بضع سنين آخذاً في أصول العلوم وفروعها ، ومطلعاً على الأسانيد وروايتها ، ومتضلِّعاً من معين الشريعة من المجتهدين والمحدثين ، حتى فاق الأقران ، وابتُهج بما جمعه في صدره من تحقيق وبيان .

فعاد إلى حضرموت مزوداً بكمال العلم والحلم ، وتصدر مع إخوانه في الوادي المبارك يصنع الرجال ، ويضيء النور في مشكاة الأجيال ، ويمد الطلاب والمريدين بصافي العلم وثاقب الفهم ، حتى انجلى عن العيون ظلام الجهل ، وأشرق للمريدين نور الوصل ، واجتهد الناس في إلحاق أبنائهم بحلقات هذا الإمام الفحل .

ترجمت له أمهات كتب التراجم ، أجمع الكل على مقامه السامق،

وتفوقه في علوم الشريعة وآلاتها مع صدقٍ وإخلاصٍ ونورٍ وعلمٍ وعملٍ ،
ومكابدةٍ ذاتيةٍ في سبيل مجاهدة النفس ، وإقامة حواجز الورع
الحاجز ، بل كان على جانبٍ عظيمٍ من السخاء والكرم ، وتلك
أرومة هذا البيت وأدب رجاله ، محباً للصدقات محسناً للفقراء والأرامل
، وكان يحمل صدقاته بيديه ويخرج إلى أهل الضنك والعوز يدخل
عليهم السرور ويمازحهم وينظر في حوائجهم ، وكان له اهتمامٌ واضحٌ
بالزراعة وغرس النخيل وأعمال الحراثة متجنباً الدعة والكسل ، موزعاً
وقته بين تعليم الناس وتربية الأبناء وإقامة الأعمال الصالحة والاعتناء
بمصادر الرزق والعيش الحلال .

وقد ذكرت كتب التراجم سعة إنفاقه على المحتاجين ، حتى إنه في
عام حجته عزم معه نحواً من ثمانين رجلاً غير حاشيته وخدمه ، فكان
ينفق على الجميع مدة الرحلة ذهاباً وإياباً .

ويبدو أنه رغب في التحول عن سمل إلى بيت جبير ، فاستقر بها
مع أخيه جديد واشترى بها نخلاً وعقاراً وابتنى داراً ، وعقد مجالس
العلم والتذكير ، وألزم طلابه الحفظ للحديث ، والتوسع في علوم الفقه
والتفسير ، ولربما خرج بهم إلى مكان زراعته ونخيله لكثرة رغبته في
مواطن الماء والشجر ، ومحبه للنزهة والتروح في جنان القرية ومزارعها

وله ذريّةٌ صالحَةٌ ظهر منهم ولده محمد بن علوي^(١)، ترجم له في بعض أمهات التراجم ((كالمشروع)) و((الغرر)) ، ومن أحفاده الأكابر علوي بن محمد بن علوي^(٢) .

(١) كان محمد بن علوي إماماً وارثاً لأبيه وجده ، ورعاً زاهداً عابداً حسنَ الأخلاق لطيفَ السمائل ، ذا رافةٍ ورحمةٍ بالمسلمين ، ترجم له في ((المشروع)) و((الغرر)) ، واستظهر عشرات الكتب والمؤلفات والمتون في شتى المعارف والفنون ، وصحب أباه ومن في عصره من الأئمة المجتهدين ، وتفقه على ابن عمه بصري بن عبيدالله وبرز في علوم الشريعة وفي العربية وآلاتها ، وكان آيةً من آيات الله في ظاهره وباطنه ومنطوقه ومفهومه ، وفي كافة أعماله وعلومه .

قال في الغرر : وكانت وفاته ببيت جبير وله من العمر ست وخمسون سنة .

انظر ((الغرر)) ص ١٢٧ .

(٢) ولد ببيت جبير وتوفي بها سنة ٥١٢ ، وحفظ القرآن وترقى في العلوم على يد والده الذي كان محط الأنظار والأرواح والقلوب ، وبلغ في مدة قصيرة ما يبلغه المجتهدون في الليال الطوال ، وأشارت إليه الأصابع في محافل الرجال ، وشهد له الشيوخ بالتفوق في العلوم والأعمال ، ولخوا في محيّا إشارات الوراثة العلوية ، وملامح القبسات النبوية ، حتى قال فيه صاحب ((الغرر)) : كان على غاية من السكينة والتواضع وعدم رؤية النفس ، وكان بذلك مثالاً لصدق الاتباع وللمتبوع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ وتأدبوا به ، ولم يزل عابداً زاهداً قانتاً لله آناء الليل وأطراف النهار حتى توفي ببيت جبير ودفن بها ، وله من الولد الإمام

عاش الإمام علوي بن عبيد الله حياته كلها في سبيل توطيد دعائم
المدرسة التي بنى قواعدها جده الإمام المهاجر وورثها من بعده عبيد
الله ، وقد تعرض تراثه للضياع كما هو حال تراث أخويه ، حتى إنه لم
يعرف تاريخ وفاته ، قال صاحب « العقد النبوي » ص ٢٦٠-٢٦١ :

وتاريخ وفاته لم يُعرف منه غير قوله في « الياقوت » بعد ما انمحق
من ذكر الأعوام : « ..وثلاث مئة.. » . رحمه الله رحمة الأبرار (١) .

الكبير الشيخ الشهير علي بن علوي المعروف بخالع قسم .

(١) راجع « الغرر » ص ١٢٧ .

الفهرس

٥	المطلع القرآني
٧	لسان الحال
٩	الإهداء
١١	سلسلة النسب الشريف
١١	ولادته ونشأته
١٦	تكيف الإمام عبيدالله بن أحمد مع واقع حضرموت
١٧	الإمام عبيدالله والرحلة في طلب العلم
١٨	تصدر الإمام عبيدالله في حضرموت
٢٠	سلسلة نسب الأبناء الثلاثة
٢١	الإمام بصري بن عبيدالله
٢٢	الإمام سالم بن بصري
٢٦	الإمام جديد بن عبيدالله بن أحمد المهاجر
٣٠	بنو جديد.. رجال العلم والعمل..
٣٣	الإمام علوي بن عبيدالله بن أحمد المهاجر